أمثلة من الترجمة

Ricarda Junge
Die letzten warmen Tage

S. Fischer Verlag, Frankfurt am Main 2014
ISBN 978-3-10-002218-9

9-20 صفحات

ريكاردا يونغة

آخر الأيام الحارة

ترجمة : ابراهيم مرازقة

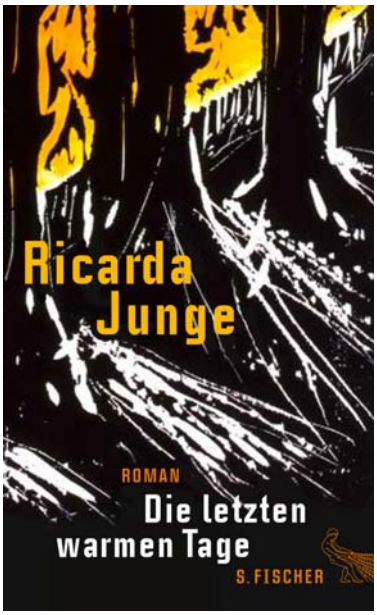

© 2015 Litrix.de

واحد

إن كنا قادرين على تخيّل أنفسنا في مكان مغاير للمكان الذي نحن فيه، فلماذا لا نبقى هناك؟

في وسط الحديقة العامة الصغيرة، على ميدان ناصع بأشعة الشمس ومحاط بأشجار الزيزفون، كانت تدورُ كرة من المرمر على صخرة غرانيت. كان ينصب الماء على الكرة وعلى القاعدة وبدَا على أنه طبقة جلدية ركيكة وفضية، كانت ترشق الى الأعلى وتلمع في أشعة الشمس عند وخزها. صبي وبنت بسراويل جينز قصيرة، جارزات تي وصنادل من البلاستيك يتسلقون القاعدة. يلعبون الساحر والجنيّة، أمسكا بالعالم بيديهما وصارا يدوّرانه. نسيا كل شيء آخر. قوّسا كفيّهما حول الكرة، بسطا ذراعيهما، الأكتاف الصغيرة ارتفعت قليلاً ثم غاصت. قواهما السحرية هي السبب الوحيد لدوران الكرة وانصباب الماء.

كان يوماً حاراً في سلسلة من أيام الحارة، التي جففت الأرض وحرقت العشب. وبالرغم من أن ريحاً لم تهب إلا أن غباراً أصفراً تتطاير من المسالك في الحديقة، الذي حط على جلد الأطفال مثل الورق النشّاف. رائحة الماء كانت كرائحة الأنهار الجوفية، كان بارداً وصافياً وكان يتساقط على الأرجل. بحركة يد واحدة استخرجوه الأطفال من الأعماق، كانوا قادرين على ايقاف النهر واجبار الكرة على التوقف. كانوا يعلمون ذلك وأحسوا بقواهم الخارقة، بقدرتهم. تنحنح الصبي وقال: ‘‘أنت أحب أخت علي.’’

البنت مرّت بلسانها على شفتيها وفكرت، سهل جداً إدعاء ذلك، لأنهما كانا لوحدهما، ولأن ليس له غير هذه الأخت. ومن ثم أدركت أهمية هذه اللحظة، وهزت برأسها موافقة. وفي حالة الارتباك هذه وخزت جلد الكرة المائي، فصار الماء يرشق ويتطاير حتى تبللا.

أخي وأنا.

إلى هناك يأخذني خيالي، إلى هنا أعود، عندما أكون تعيسة.

© 2015 Litrix.de

إثنين

أقف بالباب للحظة أخرى. أنظر إلى الخلف. هل علي أن أغلق النوافذ؟ أريد شراء السجائر. من المقصف الذي يبعد ثلاث شوارع من هنا. خمسة دقائق، او عشرة على حد أقصى. ومن ثم سأعود.

لكني أقفل الباب. أسقط المفتاح في الحقيبة. معي نقود. الهاتف المحمول كذلك. بحاجة لشيء آخر؟ لا.

من بيت الدرج تأتي رائحة ملفوف، ورائحة خل قوية تصدرها مواد تنظيف. وأيضا رائحة مراحيض خفيفة، رائحة مواسير مجاري قديمة. كيف تبدو من الداخل؟ كنت أتخيل ذلك في السابق، عندما كنت في لايبتسيغ. غرفتي في سكن الطلاب الجامعيين لم يكن فيها مرحاض، كان المرحاض على استراحة أعلى سلم الدرج، وكانت الرائحة هناك بالضبط مثل هنا.

حين تم ترميم عمارة ما، أخرجت المواسير القديمة وتم رميها من خلال النوافذ الى حاويات تم صفّها على جانب الشارع. أصدرت ضجة عالية، شذرات تطايرت منها، ارتطمت بشدة، ولكن نادراً جداً ما تحطمت المواسير. تم تقويتها من الداخل بواسطة الصلب. قشرة صلدة بلون أحمر بني، حُليْمات شديدة السواد، ما يقارب القرن من البراز، يقارب على التحجّر. لم أمر بها أبداً دون أن ألقي نظرة إلى الداخل.

الحقيبة على كتفي، أنزل الدرج. درابزين خشبي يتأرجح، أرضية الدرج مشمّعة، حيطان مدهونة بأخضر نعناعي، على سقف كل استراحة سلم معلّق مصباح كهربائي. المصباح بين الطابق الثاني والأول معطّل. هل يراقبني أحدهم؟ يقف في الأعلى ويتابع حركاتي؟ هراء. ومع ذلك ارتعاش في الرقبة. أنظر إلى الخلف. ما من بشر هناك. طبعاً.

© 2015 Litrix.de

دائماً أجد سبباً لترك طاولة الكتابة. لا أحد يوقفني، أو يسأل: إلى أين تريدين الذهاب الآن؟ لم أعتد على السكن المنفرد بعد.

حتى في ساعات النهار لا يوجد حركة كثيرة في هذه المنطقة. أما الآن في المساء فإن الشوارع ساكنة كأنها مقبرة. بالرغم من أن برنتسلاور بيرغ [Prenzlauer Berg] ليس بعيداً من هنا. ثلاث محطات بالترام، او ربع ساعة مشياً. الحوانيت هناك مثل السلسلة، واحد تلو الآخر، المقهى بعد المقهي، مستحيل أن تجد موقف للسيارة هناك، وكل العمارات هناك تم ترميمها. هنا يمكن شم رائحة الفحم المحترق في الايام الباردة. حوانيت كثيرة مغلقة. بدلاً عن المقاهي هناك كشكات للأكل الصيني، قد تم وضعها على اراض بور. منذ فترة قصيرة بدأ ينافس صالون الحلاقة الأنيق، واسمه ''Schnittstelle'' صالونات السكان الأصليين القديمة ''الحلاق شرودر'' و''ماندي للحلاقة: نسائي، رجالي، ولادي''. على زاوية الشارعين، ريتشارد–زورغي واريش–موزام تعلن يافطة عن بناء عمارات للسكن المرفّه، High-End-Quality. وقد كتب عليها أحدهم بدهان رشاش أحمر ''انقلعوا!'' و''خنازير الرأسمالية''.

أذهب إلى ''المقصف الليلي'' على محطة فرانكفوتر تور، الوحيد في المنطقة الذي يبيع السجائر التي أدخنها. في برنتسلاور بيرغ، لم تكن لدي هذه المشكلة.

علبتي سجائر. عشرة يورو واربعين سنت أضعها على النضد، والسجائر في الحقيبة. عندما بدأت التدخين، كانت تكلف علبة السجائر خمسة ماركات. كنت بالثالثة عشرة من عمري. ''لماذا تريدين تقليدي بهذا الأمر بالذات؟''، سألتني أمي حينها. كانت تدخن بشكل مسترخ وأنيق، تثني رأسها الى الجانب، ترفع يدها بعض الشيء، وكانت تنفث الدخان ببطء، وبعيون نصف مغلقة كانت تراقبه بلهفة معينة. لم تكن تدخن أكثر من ثلاث أو أربع سجائر في اليوم. واحدة في الصباح، اثنتين في الظهر، وفي المساء كانت تدخن واحدة أمام مرآة الحمام. كنت أحبها عندما تنفث الدخان من شفتيها المزمومتين باتجاه صورتها المنعكسة في المرآة. شعر أسود طويل، وجه نحيف، فم عريض، وأنف كبير بشكل غير اعتيادي – ''ورثته عن أبي'' كانت تقول دائماً، وكانت تسميه المنقار. عندما كنت أخدش بأظافري إطار الباب، بصوت خافت جداً، كانت ترتعش أمي وكانت تنظر إلي متفاجئة، كلا، بل مرتبكة. كنت أشعر دائماً كأنها عادت للتو من عالم آخر. إلي. ثم ابتسمت وأشارت

© 2015 Litrix.de

بيدها: ‘‘ششش.. إلى السرير. سوف ألحق بك حالاً.’’

إضافة إلى وظيفتي – أنا كاتبة إعلانات في شركة للبيع على شبكة الانترنت – فإني أكتب الآن رواية، روايتي الثانية، أحاول سرد قصة أمي، هروبها من الجمهورية الألمانية الديموقراطية، لكن تقدمي في كتابتها ليس جيداً.

أجلس على مقعد حجري مثبت على حائط عمارة وأشعل سيجارة. متزلجون يتدافعون الى الميدان، عجلات الزحّافات تقعقع حينما تمر على الأرض الخرسانية الغير مستوية.

إنها بداية شهر أيلول. النهارات تصبح قصيرة.

قريباً سيصبح الطقس أكثر برودة والسماء أكثر ظلمة. في الشتاء الماضي غطى الثلج برلين من كانون الأول الى آذار.

أمشي على طول الجادة بخطوات سريعة تحت شجر الحور. عندي فكرة للرواية. أريد أن أكون في البيت. يجب أن أعود على طاولة الكتابة. حالاً. للحظة قصيرة فقط أرى فيها كل القصة أمامي. إن لم أكن سريعة بما فيه الكفاية، فسوف تختفي. أمشي بسرعة أكبر. أسمع صوت صرير الحصى تحت أقدامي. من الأفضل أن أعدو. الريح يهز رؤوس شجر الحور. فجأة هذا الرجل.

نصطدم ببعضنا.

أنا أرتد إلى الخلف.

أتعثّر.

يمسك بذراعي.

© 2015 Litrix.de

ثلاث

إنه يلبس بدلة رمادية وقميص أبيض، وقد وضع معطفه على كتفه.

‘‘الطقس أدفء مما ظننت،’’ قال واستمر بالمشي بجانبي. أشعر بساعدي وكأنه أبقى عليه علامة. سوف يكون لونها أزرق بالتأكيد.

للوهلة الأولى بدا الرجل أطول مما هو في الواقع. إنه نحيف، لا، بل رزيل وبالتأكيد لا يصل إلى متر وثمانين سنتمتر، يشع من وجهه شيء لطيف، رجل طموح. شعره الأشقر المائل إلى الحمار ممشط بعناية إلى الخلف كما لو أن أحدهم فسّخ شعره الى مسالك طويلة بواسطة سلك نحاس. بشرته شاحبة جداً.

‘‘هل هناك مكان هنا يمكن الأكل فيه؟’’، سأل. ‘‘وشرب روزيه جيد؟’’

على طول الجادة هناك مطاعم، البراغر هوبفن–شتوبن، المطعم اليوناني، مطعم للشواء، الذي يقول في إعلانه، أنه أرخص مطعم في المنطقة.

‘‘هذا لا يغريني’’، قال ويعيد وضع المعطف الذي سحل على كتفه من جديد. ينظر إلي. بؤبؤا عينيه باهيين لدرجة أنه لا يمكن معرفة لونها. يبتسم. ‘‘يجب أن تكون هنا حانة جيدة جداً. الحانة التشيكية او ما شابه ذلك.’’

ما زال ينظر إلي. أزيح نظري. ‘‘لا يوجد هناك أكل. مشروبات معقولة فقط.’’

‘‘معقولة؟ جيد جداً.’’ يضحك وبدأ بالسعال. يضع قبضته أمام فمه. يهز رأسه، بعصبية، بغضب، كما يبدو لي. عيونه تدمع. بصوت منكسر يقول: ‘‘سنذهب إلى هناك.’’ يتنحنح، ينظر إلى مبتسماً. ‘‘رجاءاً لا تقولي لا.’’

كان علي أن أغلق النوافذ.

هل سمع فقط عن الحانة؟ لا. لأنه عندما دخلنا، يحيّه البارمان، ومن طاولة تناديه امرأة: ‘‘إننا هنا، يا كُنْسْتِي [Consti]. لماذا تأخرت هذه المرة أيضاً؟’’

© 2015 Litrix.de

‘‘لقد تعرفت على شخص جديد’’ قال وكأنه شعر أني أريد أن أذهب، فقد أمسك بكتفي ودفعني أمامه. هذه القبضة القوية مرة أخرى. يضع خده البارد، والمحلوق بعناية، على أذني. ‘‘ما اسمك بالمناسبة؟’’ يهمس.

‘‘آنّا [Anna].’’

‘‘إسمحوا لي بأن أقدم لكم آنا’’ هتف. يهمس مرة أخرى: ‘‘إنهم مملين بشكل متميز، رجاءاً لا تدعيني لوحدي بهذه المصيبة.’’

المرأة تعلّق حلقات بلون المرجان بأذنيها، سروال جينز ضيق من صنع مصمم وقميص حريري فضفاض. على صدرها المسطح عقد أحمر كبير الذي يلائم الحلقات. الباقين، كلهم رجال وواضح أنهم يكبروني جيلاً، يلبسون بدلات او جاكيت وجينز.

حائط زجاجي وباب الذي يفتح دفعاً الى اليمين دون اصدار اي صوت يفصلان الطاولة عن البار.

موسيقى خافته، جاك بريل، الذي في الواقع يجب سماعه بصوت عالي.

نجلس على مقعد منخفض. أصغر من أن يتسع لشخصين. البارمان ينصحنا بدايكفيري ناتورال، الذي أطلبه لنفسي. كنستي – الإسم لا يعجبني. كنستي. يطلب قارورة من الروزيه. ولكن مصباح الطاولة يعجبني. ضوءه خافت مثل لون قشرة البيض، وقاعدته فضية ثقيلة على شكل صنوبرة. منفضات السجائر مثبتة على الطاولات المنخفضة التي كان شكلها مثل حجر النرد. أشعل سيجارة. كنستي يسعل، الصوت خشن وجاف. إمرأة المرجان التي تتحدث الآن بحماس، تنظر الي بنظرات معادية. استنشق الدخان وأنفثه من خلال أنفي. ‘‘يضايقك هذا، كنستانتين؟’’

يضحك. ‘‘لا تدعيني بهذا الإسم! أنا كنستي، وإلا فلشعرت أني عجوز.’’

‘‘لا يعجبني الرجال الذين لهم أسماء كالأطفال.’’

ينظر إلي. ‘‘دخني أنتِ وكفى.’’

كنستانتين يعمل في مجال الإنترنت. الباقين أيضاً. مثل هؤلاء تخيلتهم أكثر عفوية. أحد الرجال، ربما في بداية الاربعينات، ذقنه بشكل زاوية حادة، أصلع مع نظارات بإطار سميك، يتكلم عن صندوق استثمار الذي يدعم شركات ستارت–أب في برلين. ‘‘تحت تصرفي الآن خمسين مليون

© 2015 Litrix.de

يورو'' يقول.

E-Commerce، Business-to-Business، رأس مال للمخاطرة، لا أعلم شيء عن ذلك. كنستانتين باع للتو تطبيق الذي يدلل على حملات تنزيل. من ورق تواليت، لحجز غرفة في فندق الى سيارات فخمة – بواسطة هذا التطبيق، هكذا شرح لي، يعرف المرء دائماً أين يمكنه أن يجد أقرب حملة تنزيلات اليه. هناك أيضاً تطبيقات للمطاعم، الحفلات وقاعات الرياضة.

''وواحد للمضيفات''، غمز الشاب مع النظارات السميكة. كنستانتين لم يعره اهتماماً وأكمل حديثه معي. ''إنها تستبدل كل البنى التحتية الاجتماعية القديمة تقريباً،'' يقول. ''يمكنك أن تعرفي كل شيء عن أي مكان تكونين فيه. وتشعرين هناك وكأنك بالبيت.''

إمرأة المرجان تتدخل: ''ولكنك لهذا السبب لست في برلين. يمكنك أن تكشف لنا عمّا تخطط، كنستي؟''

صمت على الطاولة. الكل ينظر إليه. ينحني إلى الأمام، يأخذ سيجارة من علبتي ويشعلها. ''عندما يأتي الوقت المناسب، ستكونين أول من يعلم. لست جاهزاً للتحدث عن ذلك الآن، شيري [Cherie].''

يدخن بدون جرع الدخان. الدخان يلتحف وجهه. إمرأة المرجان ترفع حاجبيها المنتفة. شكلهما الآن مثل إطار البوابة الرفيع. ''أنا آمل ذلكً،'' تقول.

جسده يبدو مرهق. يُخرج صوت نعيق أعمق. ومع ذلك يأخذ نفساً آخر من السيجارة، لكنه ينفث الدخان حالاً ويطفئها في المنفضة.

بعد المشروب الثاني أريد الذهاب. أودعهم. كنستانتين يقبلني على خدي ومن ثم يجلس. عندما فتحت باب الزجاج وتركت الطاولة، أومأ برأسه باتجاهي. أذهبُ إلى البار لكي أدفع. معي كفاية من النقود؟ دون أن يرفع رأسه، قال البارمان: ''لا حاجة. مدفوع.'' يملأ إناء الخلط بالثلج.

متى فعلت ذلك، يا كنستانتين؟ فكرت. أريد أن أستدير. ها أنت هنا فجأة بجانبي.

''سأرافقك،'' قال ومعطفه على كتفه.

''ليس ضرورياً.''

''بلا اعتراض. هل تظنين أني سأتركك لتذهبي وحيدة؟'' تضع بطاقة اعتمادك على النضد.

© 2015 Litrix.de

البارمان يمررها، يقطع الفاتورة، ويقدمها إليك مع قلم حبر. أنحني باتجاهك لكي أرى كيف توقّع. جدي كان يقول أن التوقيع يقول الكثير عن الإنسان. هو بنفسه كان يكتب على آلة كاتبة، ‘‘للبقاء مجهولاً’’ كان يسمي ذلك.

تخرج قلم حبر سائل من الجيب الداخلي لجاكيتك، تلولب غطاءه، تضعه بعناية على الطرف الخلفي للقلم. حبر أسود وريشة قوية مدببة. وحركة كتابة قوية كذلك، وشبه متعرجة. الخط نحيف، يبدو سلساً، الأحرف الطويلة والكبيرة مائلة شيئاً ما. مثل قصب الرمال حين يهب الريح فيه.

نشعر ببرودة الطقس حينما نخرج من الحانة. تريد أن ترتدي معطفك، وتسأل: ‘‘أم هل تريدينه أنتِ؟’’

أهز برأسي نافية. ‘‘كانوا هؤلاء زملاءك؟’’

‘‘بالأحرى سمك قرش في نفس الحوض.’’ تأخذ يدي وتلف أصابعي بأصابعك. ‘‘من الجميل أني قادر على مرافقتك.’’

‘‘لم تترك لي خياراً’’ أقول، أبتسم، ولكنك فجأة وبشكل عنيف تحدثني بشكل مباشر: ‘‘هل عارضت؟ لم ألاحظ شيئاً. من لا يعارض، عليه أن لا يشتكي لاحقاً.’’

ماذا يجري هنا؟ هل شربت أكثر من طاقتك؟ سوف أبقى واقفة، وقبل أن أقول شيئاً، تهمس: ‘‘آه.. اللعنة.’’ شيئاً فشيئاً كأنك تستيقظ، ترفع يدك، تبسط السبابة والإبهام وتفرك عينيك. ‘‘لقد كنت مع القروش. أحياناً لا أستطيع العودة بالوقت المناسب لأرضي، وثم يسيطر علي شيء، أنا آسف.’’ تسقط يدك وترفع رأسك. ‘‘الآن أنا هنا.’’ تنظر إلى عيوني. ‘‘إمش معي لمسافة قصيرة إضافية.’’

© 2015 Litrix.de